علم الترسيس او التأصيل اللغوي

أ.م.د. ناهدة محمد محمود

المقدمة:

إن من يتابع الدراسات التي تبحث في أصول الألفاظ العربية عامة والدخيلة خاصة، يلاحظ أنّ بعض الدارسين يقولون إنّ دراستهم تقع في مجال علم (التأثيل) والبعض الآخر يقولون أنّها تقع في مجال علم التأصيل وآخرون يستعمل المصطلح اللغوي الإنجليزي "إيتمولوجي" (Etymology) أو المصطلح الفرنسي "etymology" ويكتبونه "إيتمولوجيا" وكل هذا يدل على أنه لا يوجد اتفاق عام بين اللسانيين العرب على استعمال مصطلح واحد.

يعالج هذا البحث الموجز مسألة الفرق بين المصطلحات في اللغة العربية والإنجليزية بالاعتماد على ما ورد في عدد من المعاجم العربية والإنجليزية المشهورة ومصادر لغوية أخرى.

كذلك تقوم الدراسة بتقصي بدايات نشأة علم التأثيل قديماً وحديثاً وتقدم للباحثين معلومات عن علماء التأثيل المعروفين في العصور الكلاسيكية المختلفة في الثقافة الشرقية والغربية.

المبحث الأول
تعريف الترسيس، التأثيل والتأصيل
نبذة تاريخية عن: علم الترسيس أو التأصيل اللغوي:

علم أصول الكلمات١ أو التأثيل٢. أو الأيتموفولوجيا (ويقال له أيضاً التأصيل والأثالة وعلم التجذير وعلم تاريخ الألفاظ).

(بالإنجليزية Etymology) هو عملية لسانية تعتمد المقارنة بين الصيغ والدلالات لتمييز الأصول والفروع، ومن ناحية أخرى عملية تاريخية حضارية: لأنها تستعين بدراسة المجتمعات والمؤسسات وسائر العلوم والفنون للبت في القضايا اللسانية، بالإضافة الى مقارنة الألسن لمعرفة أنسابها وأنماطها. لأن اللسان الذي يكون فرعاً تكون ألفاظهم فروعاً٣ يكون التأثيل بدراسة الأصل التاريخي للكلمات، ويعتمد في ذلك على تتبع تطور الكلمة من خلال الوثائق والمخطوطات وأحياناً تاريخ المجموعات البشرية الناطقة بهذه الكلمات.

تعني كلمة (إيتمولوجيا) حقيقة الكلمة أو أصلها. إذ تتكون من مقطعين يونانيين الأول (Etymo) وتعني الحقيقة، والمقطع الثاني (Logos) اللفظ المشترك المستخدم هنا بمعنى الكلمة. وهو فرع من فروع اللسانيات بدرس أصل الكلمات ونهج تطورها، ومقارنة المتشابه منها في لغات تنتمي لعائلة لغوية واحدة.

كان (أفلاطون) أول الباحثين في هذا المجال، ومنهجه يقترب كثيراً من المفهوم المعاصر لهذا العلم. ثم بعد (أفلاطون) أعتبر الفلاسفة الرواقيون أنّ الكلمات من مكونات الطبيعة وهي نظير متمم للموجودات المادية والأفكار المجردة تساعد في التعرف عليها٤.

كانت المحاولات الأولى في هذا العلم ساذجة ومبنية على الاجتهاد لا على القواعد العلمية وما زالت هذه الأساليب مستخدمة عند البعض حتى الآن وتسمى (الأثالة العامية): (Folketynolog) حيث يتم تفسير معاني الكلمات بناء على التشابه السطحي كما في كلمة (island) الإنجليزية ومعناها (جزيرة) حيث تنسب الى الكلمة الإنجلو ساكسونية ومعناها "لأرض تبدو كعين ماء" حيث أنّها تلفظ: Land + eye

وأصبح التأثيل أكثر علمية بعدما بدأت أوربا دراسة اللغة السنسكريتية في القرن التاسع عشر، ونشأة نظرية الأصول المشتركة للعائلات اللغوية وما نتج عنها من قوانين تفسر المتغيرات الصوتية المؤثرة على تشكيل الكلمات في مختلف اللغات ونضج هذه القوانين لتصبح علم الصوتيات الذي يدين له تطور (الأثالة) بالفضل، وينتمي كلاهما لنفس التقسيم الفرعي في علوم اللسانيات.

فقبل تطور علم الصوتيات لم يكن

ممكناً إجراء دراسة علمية منهجية على الكلمات المعروفة تُمكن الباحث من تتبع تاريخها بدقة.

نبذة تاريخية عن علم التأثيل في العربية:

من أهم المحاولات الأولى في تأثيل كلمات العربية كانت محاولة (أوغست فيشر) وهو مستشرق ألماني ويُعد حجة في اللغات الشرقية من عربية وعبرية وسريانية وحبشية وفارسية وغيرها. فقد عرض في اجتماع للمستشرقين الألمان سنة ١٩٠٧م. فكرة تأليف معجم للغة العربية الفصحى يتناول تاريخ كل كلمة مبتدئاً بالكتابة المنقوشة من القرن الرابع الميلادي، منتهياً بالقرن الثالث الهجري٥.

وفي عام ١٩٣٦ في مفتتح الدورة الثالثة تضمنت خطبة رئيس المجمع (محمد توفيق رفعت): أن الدكتور فيشر سيقدم منه أنموذجاً يعرض على أعضاء المجمع، وقد كان هذا النموذج هو الثلث الأول من مادة (أخذ) مشفوعاً بمراجعه ورموزه ودليل المراجعة٦ ثم مضى الدكتور فيشر في عمله في المعجم إلا أنّ نشوب الحرب العالمية حالت دون عودته الى القاهرة.

وفي سنة ١٩٩٠ كانت هناك مبادرة الى إنشاء مشروع المعجم العربي التاريخي في تونس، ولكن المشروع توقف وأعيد العمل فيه سنة ١٩٩٥ ثم توقف لأسباب مادية.

مشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية:

أطلق المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات العمل في المشروع في ٢٥ مايو/ أيار ٢٠١٣م. بعد سلسلة من الاجتماعات واللقاءات العلمية وتركزت الجهود على وضع خطة تنفيذية بعد الاتفاق على التصور العام وتوفير الوسائل والأدوات وتأهيل الموارد البشرية.

أما الخطة العامة لإنجاز المعجم فتقوم على تقسيم تاريخ اللغة العربية تقسيماً إجرائياً الى خمس مراحل، تمتد منذ أقدم نص عربي موثق الى نصوص عصرنا الراهن.

تقف المرحلة الأولى عند العام ٢٠٠ للهجرة وتقف المرحلة الثانية عند العام ٥٠٠ للهجرة، وتقف المرحلة الثالثة عند العام ٨٠٠ للهجرة، وهكذا دواليك٧.

الهدف من المعجم:

تمكين الأمة من فهم لغتها في تطوراتها الدلالية على مدى أكثر من عشرين قرناً. وبذلك ييسير تحصيل الفهم الصحيح لتراثها الفكري والعلمي والحضاري، بإدراك دلالة كل لفظ حسب سياقه التاريخي ويتحقق وصل حاضرها بماضيها في المستويات اللغوية والفكرية والعلمية.

فهو سجل يرصد حركتها عبر تاريخها الاستعمالي، فمخزون المفردات، الذي يُشكل معجم لغة (ما) لم يظهر كتلة واحدة، ولم تتشكل معانيه طفرةً واحدة، ولم يظهر معزولاً عن محيطه اللغوي وبيئته الثقافية. بل خضع لسيرورة تاريخية تدّرج فيها نُموّه في بُناه ودلالاته واستعمالاته. فقد يستعمل لفظ (ما) بمعنى(ما)، ثم تتعدد معانيه، وقد يصير مصطلحاً له مفهوم (ما) في حقل معرفي ما، كما قد لا يُكتب له ذلك فيهمل ويُصبح مماتا. وقد استعمل من جديد بمعناه الأول أو بمعنى جديد وانطلاقاً من هذا التحديد يقدّم المعجم لكل لفظ من ألفاظ اللغة العربية مدخلاً معجمياً يتضمن:

- جذر اللفظ: أقدم استعمال للفظ المنتمي الى الجذر مستخلصاً من النقوش مع تحديث معناهُ وتاريخه والشاهد الذي وَرَدَ فيه ومستعمله ومصادرهُ.
- معاني اللفظ مرتبة تاريخياً حسب ظهورها في النصوص الموثقة مع تعريفاتها اللغوية والاصطلاحية، وتواريخ استعمالها، والشواهد التي وردت ومستعملها ومصادرها:

أي: نظائره في اللغات السامية وغيرها.

- يهدف المعجم الى جمع ما تفرّق من ألفاظ اللغة العربية، وحفظها وتفسير المفردات وفق دلالتها العلمية والزمنية على مدى ١٨ قرناً بما يجعل لغة الضاد تتبوأ المكانة اللائقة بها بين لغات العالم٨.

ماهية التأثيل والترسيس:

التأثيل (علم التأصيل اللغوي): العلوم اللغوية التي يشملها "فقه اللغة" العالمي كثيرة، أحدها سماه الأوربيون (Etymology) وترجمه المعاصرون من اللغويين العرب "علم أصول الألفاظ". لأنه يبحث عن الأصل الذي تأتت منه كل لفظة في المعجم من لفظة أخرى من لغة أخرى على الأغلب.

ويرى الأستاذ عبد الحق فاضل٩: أن تستعمل كلمة "التأثيل" اصطلاحاً مقابل كلمة (Etymology) الأوربية هذه بمعنى "التأصيل" لأن لكلمة "الأصل" ومشتقاتها معاني عامة تستعمل في مختلف الأغراض من حياتنا اليومية، فلا نريد أن

نحملها الآن معنى آخر له صيغته العلمية التخصصية، في حين أن لغتنا العربية قد كنزت لنا ذخيرة طالما تحدثنا عن غزارتها وباهينا بها الأمم. وبإمكاننا الآن أن ننتفع بمفرداتها ومتشابهاتها التي تتخم جوف المعجم حتى ليكاد ينفجر امتلاءاً. ويكاد أكثر ألفاظه حتى المألنوس الشائع منها يموت إهمالاً. ومنها هذه الكلمة "الأثل" والتي لا نذكر من كُتابنا أستعملها أو استعمل أحد مشتقاتها إلا في وصف أحد بالأثيل أو المؤثل. أما بقية الصيغ والاشتقاقات فمهجورة لا يعبأ بها أحد.

وهذه الكلمة تفي بالدقة بغرضنا في تسمية (علم التأصيل اللغوي) فأن "الأثلة" في المعجم: الأصل.

وتأثل الشيء واثل: تأصل١٠.

والكلمة بعد تزخر بطاقة اشتقاقية سخية لا تملكها نظيرتها الأوربية (Etymology) التي لا توجد لها عندهم صيغ أخرى فيما يظهر. فبوسعنا أن نشتق منها هذه:

١. الأثل: بمعنى الأصل اللغوي.
٢. الأثلة: الكلمة الأم.
٣. التأثيل: علم التأصيل اللغوي.
٤. المؤثلة: الكلمة المؤصلة.
٥. المؤثل: من يؤثلها.
٦. الاستئثال: البحث عن الأثل أو المطالبة به. وتمكن النسبة الى بعض الصيغ بالياء كالأثلي والتأثيلي.

الترسيس: لفظة جديدة في الاستعمال لكنها تجري على قياس معروف معقول ومقبول ومجرب، ولا تحتاج إلا الى شيء من التكرار ليصقلها الاستعمال فتغدو مألوفة مأنوسة. فكما قالوا التأسيس من الاس نقول "الترسيس" من "الرس" وهي كلمة نقترحها إضافة الى "التأثيل" الذي لم يعد معناه الأوربي يفي بحاجتنا في البحث اللغوي.

والذي نعنيه بالترسيس هو إرجاع اللفظة العربية أو الأعجمية الى رسها. أي بدايتها. فأن (الرس) في المعجم: ابتداء الشيء. نقول: ترس: التِّرسَةُ جمع تُرس وكل شي: تَتَرَّست به فهو مِتْرَّسَة لك١١.

أصلَ: واستأصلت هذه الشجرةُ أي: ثبتُ أصلها

ويقال: أنّ النخل بأرضنا أصيل أي: هو بها لا يفنى ولا يزول.

وفلان أصيل الرأي وقد أصلَ رأيهُ أصالةً، وإنّه لأصيل الرأي والعقل.

والأصيل: العَسِيَّ: وهو الأصل وتصغيره: أُصَيِّلال. ورجل أصيل: لهُ أصل١٢.

وأصل الشيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة لأرتفع بارتفاعه وفلان لا أصل له ولا فصل١٣.

اذا ابتداء الكلمة هو بذرتها، أي: الصوت الطبيعي الذي حاكاه الإنسان الأقدم بحروف نطقية عَبَر بها عن ذلك الصوت، أو عن الحادثة التي سببت ذلك الصوت، وما الى ذلك من أمور تتصل به.

فالتأثيل (Etymology). إذن رد الكلمة الى أمها المباشرة أو الى جدتها الأولى- حواء- في صورتها التي نطق بها أول إنسان مع تعقيب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة حتى وصلت الى الصورة التي نعرفها بها الآن في إحدى اللغات. ويمكننا أن نضرب من تطور الأحياء مثلاً على التطور اللغوي، فنقول أن التأثيل يشبه البحث عن تطور الأحياء، فنقول أنّ التأثيل يشبه البحث عن الأصل المباشر الذي نشأ منه الإنسان أو غيره من الأحياء. واذا كان أصل الإنسان حيواناً شبيهاً بالقرد. فإن "رس" الإنسان هو الخلية القَردة، على قول التطوريين، ولترسيه علينا أن نبحث عن جميع حلقات السلسلة حتى نصل من الإنسان الى الأميبة المائية الأولى١٤.

المحور الثاني
علم الترسيس عند العرب والغرب وأهميته

الترسيس عند العرب وأهميته:

عرّفه العلماء العرب: علم أصول الكلمات أو "التأثيل" ويقال له أيضاً التأصيل والأثالة وعلم التجذير و"علم تاريخ الألفاظ": هو عملية لسانية تعتمد على المفارقة بين الصيغ والدلالات لتمييز الأصول والفروع، ومن ناحية أخرى: عملية تاريخية حضارية لأنها تستعين بدراسة المجتمعات والمؤسسات وسائر العلوم والفنون للبت في قضايا اللسانيات بالإضافة الى مقارنة الألسن لمعرفة أنسابها وأنماطها لأن اللسان الذي يكون فرعاً تكون ألفاظهُ فروعاً١٥.

يكون التأثيل بدراسة الأصل التاريخي للكلمات ويعتمد في ذلك على تتبع تطور الكلمة من خلال الوثائق والمخطوطات وأحياناً تاريخ المجموعات البشرية الناطقة بهذه الكلمات. وكانت المحاولات الأولى في هذا العلم ساذجة ومبنية على الاجتهاد لا القواعد العلمية، وما زالت هذه الأساليب مستخدمة عند البعض حتى الآن وتسمى: الأثالة العامية (Folk Etymology) حيث يتم تفسير معاني الكلمات بناء على التشابه السطحي كما في كلمة (island)

الإنجليزية .

أصبح التأثيل أكثر علمية بعدما بدأت أوربا دراسة اللغة السنسكريتية في القرن التاسع عشر، ونشأة نظرية الأصول المشتركة للعائلات اللغوية وما تبع عنها من قوانين تفسر المتغيرات الصوتية المؤثرة على تشكيل الكلمات في مختلف اللغات ونضج هذه القوانين لتصبح علم الصوتيات الذي يدين له تطور (الأثالة) بالفضل وينتمي كلاهما لنفس التقسيم الفرعي في علوم اللسانيات. فقبل تطور علم الصوتيات لم يكن ممكناً إجراء دراسة علمية منهجية على الكلمات المعروفة تمكن الباحث من تتبع تاريخها بدقة١٦.

ما الفائدة من دراسة التأثيل اللغوي؟

أن دراسة التأثيل اللغوي فوائد جمة منها:

- معرفة الرصيد الأثيل في اللسان القومي، وحفظ هذا الرصيد من التداخل والوقوف على درجة عجمة اللفظ ثم معرفة اللسان الذي انحدرت منه الألفاظ الأعجمية وبنيتها ودلالتها قبل اقتراضها من لغة أخرى.
- عودة الحياة والحركة الى أدبنا وتراثنا تشكل ولادة للعائد وهي بحاجة لكي تستمر.
- تنحو أن تخرج نفسها من نسق الخط الواحد والانغلاق على الذات الذي يحوّل الحضارة الى إيديولوجيا، ويصبح الفكر سجيناً يعوق تطلعنا للانفتاح على الإنسانية وتراثها. ولقد دعا (رينه تامبل) للخروج بدراسات الأدب المقارن من حقل المركزية والقطبية الى عالم تتساوى فيه الآداب أهمية وقيمة، فما كان سبباً للحياة والحركة في الآداب الأوربية أصبح سبباً للموت والاختناق.

لقد أصبحت المواريث الحضارية والإنسانية إرثاً عالمياً من خلال الترجمات التي وجدت بدائل لغوية في ثقافات الأمم الأخرى، وقواسم مشتركة وأنماطها عند الآخر ما سهل عملية تلقيها لأنها تعبر عن قضايا الإنسان بشكل عام١٧.

وفي الختام لابد من التأكيد على أننا يجب أن نواكب تطورات العصر وندخل زمن العولمة والاتصالات والتكنولوجيا، ونمتلك أسباب الحياة كي نكون قادرين على الصمود أمام لغات العالم ومنافستها١٨ ١٩.

و توجد دراسات كثيرة لعلماء اللغة في مجال أصول الكلمات العربية الأصل أو الدخيلة عبر العصور الثقافية المختلفة ولكن لا توجد معاجم مخصصة لهذا المجال اللغوي المهم جداً للأسف الشديد، ولم تنجح كل المحاولات التي جرت في القرن الماضي.

أهمية هذا العلم في اللغة العربية:

الترسيس علم عربي محض. وسيبقى عربياً أبداً، فما من لغة غير العربية حملتها ظروفها الخاصة قادرة على النهوض بهذه المهمة لنفسها ولغيرها من اللغات، بإيجاد الأرساس الحية للكثير من الكلمات الآرية، وأكثر منها للكلمات الحامية، وأكثر للكلمات السامية، وأكثر بطبيعة الحال للكلمات العربية نفسها... مع ما يصل هذه الأرساس البدائية بالألفاظ الحضارية الراقية العصرية من حلقات، غير مفقودة، في تسلسل تطوري منطقي جذاب يرينا بعض المراحل التي تجسدت فيها الألفاظ معنى ومبنى، أو كلها في بعض الأحوال.

ولما كان الترسيس هو الأساس الذي سيقوم عليه "علم نشأة اللغة" وما يتصل به من علوم اللغة، فالعربية وتطوراتها وتفرعاتها ومجراتها ستكون الأساس المكين لعلم "فقه اللغة" العالمي العام الذي سيعاد النظر فيه بجملته ومختلف فروعه ويعاد تخطيطه وتشييد صرحه على تصميم جديد من قوانين اللغة العربية وإيحاءاتها. وسيتضح كم سيثري علم اللغة ويصح من أخطائه ويقضي على الكثير من تلكئه هنا وتردده هناك وبسرعة حالما يأخذون بسلوك الطريق الاستقرائي العلمي الصحيح في دراسته ابتداءاً من اللغة العربية٢٠.

وأخيراً نقول ولم يعظم أمر التأثيل عند العرب لأن الكلمات الدخيلة في العربية قليلة نسبياً، لا تكاد تبلغ الثلاثة من المائة من مجموعة الألفاظ العربية٢١.

علم الترسيس عند الغرب وأهميته:

التأثيل أو (علم التأصيل اللغوي) علم أوربي في الواقع وأن كان العرب قد سبقوا إليه. وإنما اهتم الأوربيون بتأثيل لغاتهم لأن أكثر ألفاظها مقتبس من لغات أخرى فكان طبيعياً أن يبحثوا عن أثول الكلمات الأجنبية الدخيلة في لغاتهم.

نشأة علم الترسيس عند الغرب وتطوره:

في قاموس أكسفورد التاريخي (١٩٩٣) يعرف المصطلح: (ايتمولوجي Etymology) في اللغة الإنجليزية

على أنّه فرع من فروع اللسانيات الذي يفحص تاريخ وتطور الأصوات في اللغات الهندو- أوربية (حسب قانون غريم Grimm's Law. ١٨٢٢ والذي أدى الى ظهور البحث التاريخي في اللغات في القرن التاسع عشر.

وفي القرن العشرين استمر اللغويون في استعمال المصطلح "علم الايتمولوجيا" (تاريخ الألفاظ لمعرفة كيف تتغير المعاني ثم استبدال المصطلح (Etymology) بالمصطلح: اشتقاق/ Derivation ليشير الى أصول الكلمات، أي: جذورها. والتركيبات المشتقة التي تبنى من الكلمة الأصلية كالأسماء المنتهية بمقاطع في نهاية الكلمة (لاحقات) مثل: "ness + kind وإضافة مقاطع في بداية الكلمة (بادئات) مثل Unkind = kind + un وغير ذلك .

ب. قاموس (كولنز التأثيلي ١٩٩٨)

يعرّف المصطلح كما يلي: الايتمولوجي هو دراسة أصول وتطوير الكلمات والمورفيمات Morpheme و(المورفيم هو أصغر وحدة صوتية لها معنى).

ج. قاموس تشيمرز -Dictionary chambers التأثيلي يعرف المصطلح هكذا: علم فحص الاشتقاق ودلالة الكلمات الأصلية.

وبصورة عامة التعريف الوارد في قاموس أكسفورد الجديد المختصر هو التعريف المعتمد في غالبية المصادر الدراسية والمعاجم الأخرى.

قاموس أكسفورد المحيط (١٩٩٦) (إنكليزي- عربي)

يترجم المصطلح كما يلي:-

١. اشتقاق الكلمات.

٢. علم الاشتقاق.

٣. علم التأثيل.

وهو القاموس الوحيد الذي يعطي لفظة "تأثيل" العربية ولكنه يعتبر الاشتقاق والتأثيل فئة واحدة.

أ. علماء التاثيل القدماء:

١. العلماء الهنود: كان علماء اللغة الهنود القدامى أول من قام بدراسات تأثيلية تحليلية في اللغة السنسكريتية (Sanskrit) لغة الطقوس الهندوسية والبوذية. ومن أشهر علماء (التأثيل) أشهر علماء التأثيل الهنود هم:

١ Yasaka (حوالي القرن (٦- ٥) ق.م

٢. بانيني Panini (حوالي ٥٢٠- ٤٦٠) ق. م

٣. كاتايانا Katayana (حوالي القرن الثاني) ق. م

٤. باتانجالي Patanjali (القرن الثاني) ق. م

ب. في العصر اليوناني القديم:

pindar بندار (٤٥٣- ٥١٨) ق.م

بندار هو الشاعر اليوناني كان مولعاً بتأليف حكايات تأثيلية خيالية لكي يجامل فيها المسؤولين في أيامه ويتملقهم٢٢.

× أفلاطون (٤٢٣- ٤٢٤/ ٣٤٧- ٣٤٨) ق. م

يعتبر أفلاطون من أوائل الباحثين اليونانيين في هذا المجال، ومنهجه يقترب كثيراً من المفهوم العلمي المعاصر لهذا العلم.

× الفلاسفة الرواقيون Stoics: يعتبر أفلاطون الفلاسفة الرواقيون Stoics أن الكلمات من مكونات الطبيعة وهي نظير معجم للموجودات المادية والأفكار المجردة تساعد في التعرف عليها.

ج. في العصر الحديث:

السير وليم جيمس (١٧٩٤- ١٧٤٦) بدأت الدراسات التأثيلية الحديثة بشكلها الحقيقي في أوربا في القرن الثامن عشر في عصر التّنوِر.

أما علم اللسانيات التاريخي فقد بدأ عندما قام العالم سير وليم جيمس عندما كان يعيش في الهند سنة ١٧٨٢ بدراسة اللغة السنسكريتية، إذ كان فقيهاً في اللغة الإنجليزية ورئيساً للجمعية الآسيوية، التي كانت تعني بدراسة الثقافة واللغة.

وعلى ضوء هذه المراحل في تحديد مفهوم التأثيل ظهرت معاجم تضم الكثير من الكلمات منها:

المعاجم التأثيلية الأجنبية:

لقد أظهر علماء اللغة الأوربيون اهتماماً كبيراً في معرفة أصول لغاتهم وتاريخها منذ القرن الثاني للميلاد وعند ظهور المطابع في أوربا في القرن الخامس عشر. ظهرت محاولات لحفظ المعلومات التأثيلية عن ألفاظ اللغات في معاجم ثم جمعها في عدة دول أوربية، فمعجم أكاديمية (ديلا كروسكا) الإيطالية صدر عام ١٦١٢. ونشر معجم الأكاديمية الفرنسية بين ١٦٣٨ و ١٦٩٤.

وألف الدكتور ساموبل جونسون (١٧٠٩- ١٧٨٤) معجمهُ بعنوان (قاموس اللغة الإنجليزية عام ١٧٥٥م) أما معجم ويستر الأمريكي فلم يصدر إلا عام ١٨٢٨م.

أما في العقود الأخيرة وبالإضافة الى

المعاجم التاريخية على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) فقد ظهرت معاجم تأثيلية كثيرة في اللغة الإنجليزية وغيرها. وأشهر المعاجم الإنكليزية في هذا المجال هي:

The New Shorter Oxford English Dictionary on Historical principles two (volumes ٢٣. ١٩٩٣م).

The Chambers Dictionary ١٩٩٨.

المعجم التأثيلي العربي أو المعجم التاريخي:

يجب الإشارة الى أنه توجد دراسات كثيرة لعلماء اللغة في مجال أصول الكلمات العربية الأصل أو الدخيلة عبر العصور الثقافية المختلفة ولكن لا توجد معاجم مخصصة لهذا المجال اللغوي المهم جداً. وللأسف الشديد لم تنجح كل المحاولات التي جرت في القرن الماضي والحالي في تأليف معجم تاريخي تأثيلي كامل للغة العربية.

وقد بدأ تلك المحاولات المستشرق الألماني (أوغست فيشر ١٨٦٥م) الذي بدأ بوضع خطة لتأليف معجم تاريخي للغة العربية على أساس تاريخي (١٩٠٧م) يذكر في المقدمة التي نشرت للمعجم مجيباً على سؤال افترضه قائلاً:

س: كيف يجب أن يكون معجم اللغة العربية الفصحى ملائماً للتطور العلمي في العصر الحاضر؟

ج: يجب أن يشتمل المعجم على كل كلمة- بلا استثناء- وجدت في اللغة وأن تُعرض حسب وجهات النظر السبع الآتية: التاريخية والاشتقاقية/ التأصيلية/ والتصريفية والتعبيرية (الدلالية) والبيانية والأسلوبية.

وكما ترى فإنّ (فيشر)٢٤ وغيره لم يستعملوا المصطلح (تأثيل) بل (تأصيل) وأن لفظة (تأصيل) بالنسبة له تشير الى الاشتقاق ولكن المقابل في الإنجليزية Etymological يشير الى تاريخ الكلمة، وواضح أن هنالك خلطاً ما بين المعنى الحقيقي للتأصيل والتأثيل والاشتقاق وتاريخ الكلمات.

كما أصدرت مؤسسة البحوث والدراسات العلمية المغربية كتاباً عن أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية. قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية، جمعت فيه مداخلات الأساتذة المشاركين في ندوة المعجم العربي للغة العربية المقامة شهر نيسان ٢٠١٠م بمدينة فاس المغربية.

لاشك أن إنجاز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية سيكون حدثاً عظيماً في تاريخ اللغة العربية. وسيكون للمعجم الذي طال انتظاره دور عظيم في معرفة أصول اللغة العربية وتطورها والتغيرات التي ظهرت عليها، وكذلك سيساعد الباحثين في تقصي علاقة اللغة العربية المتبادلة مع اللغات الأخرى قديماً وحديثاً٢٥.

مشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية:

فكرة وجود "معجم تاريخي للغة العربية" موجودة منذ زمن وقد كانت المحاولات الأولى محاولة الدكتور فيشر كما أسلفت، وكانت آخر المحاولات في الدوحة حيث أعلن المركز القومي للأبحاث ودراسة السياسات (السبت ١٥ رجب ١٣٣٤هـ الموافق ٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٣م) عن إطلاق مشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية.

وهو مشروع حضاري يسهم في سد الفراغ في اللغة العربية فيما يتعلق بأصل الكلام وقد تبناه ولي عهد قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني بالدعم والرعاية والتمويل.

قد يستغرق أعداد المعجم والذي سيؤرخ ألفاظ اللغة العربية على مدى عشرين قرناً قرابة ١٥ سنة، وذلك على مراحل يجري عرضها كل ثلاث سنوات ويسعى لتحقيق عدد من الأهداف أهمها:

- تمكين الباحثين من أعداد الدراسات والأبحاث المتعلقة بتقييم تراثنا الفكري والعلمي في ضوء ما يقدمه المعجم من معطيات جديدة واستثمار مرونته الالكترونية الشاملة في بناء عدد من البرامج الحاسوبية الخاصة بالمعالجة الآلية للغة العربية مثل الترجمة الآلية والإملاء الآلي والمدققات النحوية والمحللات الصرفية والنحوية والدلالية كما سيوفر المشروع عدداً من المعاجم الفرعية التي تفتقر إليها المكتبة العربية مثل: معجم ألفاظ الحضارة، معاجم مصطلحات العلوم، والمعجم الشامل للغة العربية والمعاجم اللغوية التعليمية٢٦.

المحور الثالث
التطبيق

قلنا أن الترسيس هو إرجاع اللفظة العربية أو الأعجمية الى رسها أي بدايتها. فأنّ "الرس" في المعجم: ابتداء الشيء وابتداء الكلمة: هو بذرتها أي: الصوت الطبيعي الذي حاكاه الإنسان الأقدم

بحروف نطقية عبرّ بها عن ذلك الصوت أو عن الحادثة التي سببت ذلك الصوت، أو الشيء الذي أنتجه، وما الى ذلك من أمور تتصل به.

فالتأثيل إذن رد الكلمة الى أمها مباشرة أو الى جدتها المباشرة أو القريبة، أما (الترسيس) فإعادة اللفظة الى جدتها الأولى في صورتها التي نطق بها أول إنسان مع تعقيب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة حتى وصلت الى الصورة التي نعرفها الآن في إحدى اللغات.

وقد وقف اللغويون الأوربيون عند حدود (التأثيل) فلأنهم لا يعرفون حدوداً أبعد منها، وبتعبير آخر لأنهم لا يعرفون اللغة الأم التي انحدرت منها تلك الألفاظ الأثلة.

وبتعبير ثالث لأنهم لم يتعمقوا في درس العربية والنظر فيها وفي ظروفها التاريخية قبل التاريخية كشفت لنا أنها أم اللغات الآريات، لا الساميات والحاميات فقط.

بعض النماذج الإنجليزية و العربية و تأثيلها و ترسيسها:

- RIVER: نهر: ويؤثلونها من الفرنسية القديمة rivieraوهذه من اللاتينية ripa: ساحل.

هذا تأثيلهم

فلأجل تأثيلها (ترسيسها) يقترح أن تسير في تأثيلها خطوة أخرى. يقول المعجم العربي أن لديه كلمة عربية مبنية بنفس اللفظ والمعنى: "الريف: ما قارب الماء من الأرض" وهذا يعني الساحل. والدليل الصريح على ذلك هو أن "الساحل" أيضاً يعني في المعجم: "ريف البحر وشاطئه" ومن هذا المعنى قالوا: ريف مصر، وريف البصرة، وريف المغرب بالضبط كما يقول الأوربيون: الريفيرا (riviera) الإيطالية والريفيرا الفرنسية. ثم أن العرب أطلقوا (الريف) مجازاً على "الأرض فيها زرع وخصب". لأن ذلك شأن الأرض القريبة من الماء، ثم ساروا خطوة أخرى في تطوير المعنى فأطلقوا "الريف" في المشرق على المناطق القروية بوجه عام.

أنّ "الريف" كلمة مائية من أسرة الريق (كالعيد) والريق "كالعين" والريل (كالعين)، والري- وغيرها من الألفاظ المائية التي سبق أن رسسناها من صوت الهواء عند هبوبه هووو٢٧.

وعلى ذكري الري نقول أن "الريف" تنطق بالأسبانية (ريو- no). فعلى هذا نظن أن في وسعنا ترسيس كلمة river الإنجليزية هكذا: هو- هواء- هباء- هباب- أباب- أب- آل- رآل (ومنها الريل)- راق (ومنها الريف)

- ripa (لاتيني): ساحل- riviera (إيطالي): ساحل- riviere (فرنسي) قديماً: ساحل وحديثاً: نهر أيضاً- rive (فرنسي): ساحل- (river) إنكليزي: نهر.

والمقصود بهذا الترسيس طبعاً هو القول أن كل واحدة من هذه الألفاظ تمثل صورة لمرحلة اجتازتها الكلمة منذ بدأ الوحش العربي الأقدم يحاول التعبير عن أشياء بمحاكاة أصواتها فقال في الغابة (هووو) ليمثل صوت هبوب الريح- الى أن قال المتنبي (ريف) ثم قال شكسبير من بعده river.

PLATE -: صحيفة، لوحة، صحن.

يؤثلها المعجم من Platta: طبقة أو صحيفة. باللاتينية الدّنيا أي: الحديثة (١٥٠٠- ٦٠٠م)، ونحن لا نعرف في الترسيس فرقاً بين اللغات عليها ودنياها، لأن الدنيا والدارجة والعلمية والمولدة قد تكون أفصح من الفصحى كالذي قلنا.

وفي الإنجليزية كلمة أخرى هي Plateau: السهل من براح الأرض، وهي من الفرنسية وتوجد في الفرنسية والإنجليزية كلمة Place: الساحة والميدان أو المكان. ويؤثلونها من الإغريقية Platus: مسطح، عريض. ونتصور هذه الكلمات كلها من رس واحد كما يوحي تصاقب مبانيها ومعانيها، ولعلها قد دخلت الفرنسية والإنجليزية من طريق واحد أو طرق مختلفة، لكن أقدمها فيما يظهر هي Platus الإغريقية. ويبدو أن Platta اللاتينية هي أثل الكلمة الإيطالية: Piazza: الساحة أو الميدان. وهذه الكلمة الإيطالية دخلت في الدارجة العراقية بصيغة أبياسه - pyasah- بمعنى التمشي للرياضة أو التسلية.

AIR - : هواء

المعجم الإنجليزي يؤثلها من الأغريقية aer: طبقة الهواء السفلى القريبة من الأرض. ولا ندري لماذا تخطى معجمنا اللاتينية هذه المرة. فمن عادتهم رفع الكلمة الى اللاتينية أولاً ومنها الى الإغريقية كلما وجدوا كلمة لهم في هاتين اللغتين معاً. ذلك أنّ هذه الكلمة وردت في اللاتينية أيضاً: aer. ومن يتسلم رسالة من إيطاليا بالبريد الجوي يجد عليها لصيقة (viaaerea) ويرى الأب (نخلة اليسوعي) وهو من محبي اللغة العربية المعجبين بمتانتها: أن العرب اقتبسوا من هذه الكلمة الإغريقية (الهير)- كالطير- و(الهير) كالسيد: ريح الشمال.

والراجح أن أثل هذه الكلمات جميعاً هو (الأير)- كالهير- الواردة في مقاييس اللغة لابن فارس أنّه يعني الريح الباردة أو الحارة. ولا يذكر أيهما كان أرجح عنده. والأصح عندنا٢٨ على كل حال أن الأصل منهما هو الريح الحارة، ثم شمل الريح الباردة تطوراً. ذلك بأن أثل الكلمة هو (الأر)- كالشر- وهو إضرام النار، وهو رسها أيضاً، أي جذرها الصوتي الأول. فإن النار حين تتأجج تنبثق من حطبها نفثات قوية تقول (أرررررر) وما زال العراقيون يقولون: (ورت النار)، أو: (فلان يور مثل النار)، أي سرعان ما يهتاج. ومنها في الفصحى: وريت الزند وأوريته: أخرجت ناره. ومنها أيضاً (الأوار): اللهب، و حر النار أو الشمس، والدخان، والعطش، وريح الجنوب.

والراجح أن العرب قال أولاً: أر الحطب، أي احتدم ضرامه حتى خرج منه صوت: أرررر. لكن هذا المعنى أنقرض في الفصحى، ولعلها مستعملة في أقطار عربية أخرى. أما الذي بقي في المعاجم فصيغة الفعل المتعدي (أر النارَ): أوقدها. ولا بصيص علينا أن نتخيل كيف نشأت من (الأر) كلمة (الأير) بمعنى الريح الحارة، وأنهم أطلقوا (الأوار) على الريح الجنوبية ومعان حرارية أخرى. وهي أسوأ الأرواح وأوضحها. ولعل ذلك شأنها في جميع الساحل الجنوبي من جزيرة العرب.

فترسيس air إذن شيء من هذا النحو:

أر- أير (ومنها: الهير)- aer في الإغريقية واللاتينية- aerec في الإيطالية- air في الفرنسية والإنجليزية.

CAESARISM –: حكم استبدادي اكتسبت الكلمة معناها هذا في الإنجليزية من اسم يوليوس قيصر (Caesar). وهو أول من سمي به. يقول معجم هوف: "ربما سمي بذلك لأن رحم أمه شق عند موتها لإخراجه" ٢٩.

فما علاقة شق الرحم بهذه التسمية التي صارت تعني العظمة والجبروت حتى لقد انتحل اسم قيصر كثيرون من حكام الرومان الذين خلفوه وأولهم ابن أخته أوكنافيوس قيصر. وبعد انقراض اللقب في موطنه انتحل حكام الروس والألمان أيضاً.

قالوا أن الكلمة في اللاتينية من مادة Caesum ومعناها القطع، ويرى العرب بتعبير ترسيسي أدق أنها من العربية: القصم والقص. وهم يقولون أن caesum هذه من مادة caeao: قطع. غير أن العرب صححوا لهم أنّ هذه الأخيرة من (القد) وهو القطع أيضاً، غير أنها كلمة مستقلة من (القص) ولو أنهما من رس واحد: (قط).

وهذا يعني أن الرومان كانوا يستعملون المترادفتين العربيتين (قد) و(قص) كليهما.

فعلى هذا ترسس الكلمة هكذا: قط- قص- (قد... -(caeao) (caesum caeaar- caearism:E ٣٠.

SOLICIT: يناشد، يغري

أثلها من اللاتينية Solicitare بنفس هذين المعنيين اللذين يطابقان الأثل العربي للكلمة اللاتينية وهو (السؤال، والسؤال). فقولك "لي إليك مسألة" يعني لي إليك رجاء. وقولك: "أسالك المغفرة" يعني أناشدك المغفرة. بل أن "السؤال" يعني الاستجداء.

وأما معنى الأغراء فمن قولك: سولت له نفسه، وسول له الشيطان، ومعنى التسويل متطور من معنى السؤال والسؤال والسؤل. وما يؤيد ذلك أنَّ (سأل يسأل) ينطقونها في المغرب (سول- يسول).

أما رس الكلمة فقول الفروج العربي: صي صي صي٣١ يمكن ترسيسها إذن بشيء من هذا القبيل: صي صي صي- صاي الفرخ (صات)- صأل- (صهل)- سعل- سأل (ومنها: سول) .L Solicitare: E solicit:. ونظن جذر الكلمة هو "SOL" وحسب.

OS–: عظم:

ومنها osseous: عظمي أو متعظم، و osein: المادة العضوية اللبنة التي يتكون منها العظم. و(العص)- كالقص- في العربية: الأصل، ومنه مجازاً (العُصَعصَ)- بضم العين وفتح الصاد أو ضمه: أصل الذنب. ومنه (العصعص) - كالبلبل- و(العصعص)- كالمرمر- و(العصعوص) كالعصفور: عظم الذنب.

وقد أخذ اللاتينيون كلتا الصيغتين: OS من العص، وOssis من العصعص، فيما يظهر (مع العلم أن العراقيين ينطقون العُص بضم العين كاللاتين).

و(العص) نؤثله من (الأس)٣٢ وهكذا نرى كيف انتقل المعنى من الأصل. الى أصل الذنب، ثم الى عظم الذنب خاصة. ثم الى العظم عامة. رسها إذن من همزة التنبه: آ- آس- عص- عصص- os: E. ossis: os L .

ونخلص الى: أن كان (التأثيل) علماً أوربياً الى حد كبير فإن علم (الترسيس) علم عربي محض وقد لاحظنا هذا في النماذج المتقدمة. وسيبقى علماً عربياً أبدا. فما من لغة غير العربية جعلتها

ظروفها الخاصة قادرة على النهوض بهذه المهمة لنفسها ولغيرها من اللغات بإيجاد الأرساس الحية للكثير من الكلمات الآرية، وأكثر منها للكلمات الحامية، وأكثر منها للكلمات السامية، وأكثر بطبيعة الحال للكلمات العربية نفسها. مع ما يصل هذه الأرساس البدائية بالألفاظ الحضارية الراقية العصرية من حلقات، غير مفقودة، في تسلسل تطوري منطقي جذاب يرينا المراحل التي تجسدت فيها الألفاظ معنى ومبنى، أو كلها في بعض الأحوال.

الخاتمة:

يشير الباحث الى أهمية علم التأثيل في فهم أصول اللغات القومية لكل شعب. ويبرز أهمية وضرورة العمل على تكثيف البحث التأثيلي التاريخي في اللغة العربية وأصول ألفاظها، وضرورة تأليف معجم تاريخي يكشف عن أصول اللغة العربية وروافدها وتطور ألفاظها على مر العصور.

المصادر و المراجع:

١- معجم التأسيس في اللغة / ص٥١ .

٢- كتاب التعريفات / ص٣٢ .

٣- العين / ص٢٩ وينظر المفردات في غريب القران / ص٢٣

٤- التأثيل و التأصيل و المعجم التاريخي للغة العربية د. نزيه قسيس .

٥- أ، ب، ث، مثال (أخذ) من معجم (فيشر) وهو مقالة نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩ قدمها الأستاذ محمد شوقي أمين.

٦- المعجم المؤرخ للغة الضاد معجم عربي شامل على اساس تاريخي .

٧- التأثيل و التأصيل و المعجم العربي التأريخي للغة العربية د. نزيه قسيس .

٨- علم الترسيس او التأصيل اللغوي و اثره في اللغة العربية (بتصرف) .

٩- علم الترسيس: الأستاذ عبد الحق فاضل / ص١٨.

١٠- المصدر السبق نفسهُ (بتصرف).

١١- كتاب العين. ص١٠١.

١٢- العين: ص٢٩.

١٣- المفردات: في غريب القرآن: كتاب الألف ص٢٣.

١٤- علم الترسيس: عبيد الحق فاضل: ص١٩.

١٥- ترجمة (Etymology) حسب بنك باسم المصطلحات العلمية مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية تاريخ الوصول ٢٠١٧/٢/٥ المركز العربي للأبحاث و دراسة في السياسات نفذ اليه السبت ٢٢/كانون الاول/٢٠٠٢ .

١٦- المصدر السابق نفسه.

١٧- التقريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث د. نزيه العظمة.

١٨- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الرابع المجلد ص٨٦.

١٩- وظيفة التأثيل في الصناعة المعجمية. د. احمد عزوز.

٢٠- علم الترسيس ٢٨.

٢١- الأب رفائيل نخلة اليسوعي، في كتابه "غرائب اللغة العربية" ط٢.

٢٢- الموسوعة الشعبية (ويكيبديا) ينظر لمحات من التأثيل اللغوي ، اللسان العربي العدد ٤ ص ١٤ العمود ١ كلمة للدكتور عبد الحق فاضل .

٢٣- التأثيل والتأصيل والمعجم التاريخي للغة العربية د. نزيه قسيس ، ينظر فضل العربية على الحضارات القديمة اللسان العربي العدد ٣ ص ٢٣٩ فقرة اسرار الضمائر .

٢٤- أ. ب، ث، مقال (أخذ) من معجم فيشر وهو مقالة نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٩م وقدمها الأستاذ محمد شوقي أمين.

٢٥- التأثيل والتأصيل والمعجم التاريخي. بحث منشور على الانترنت د. نزيه قسيس.

٢٦- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نفذ إليه ٢٩ أيار/ ٢٠٠٤م.

٢٧- "لمحات من التأثيل اللغوي" اللسان العربي- العدد ٤، ص١٤.

وينظر التأثيل والتأصيل والمعجم التاريخي للغة العربي أ.د. نزيه قسيس.

٢٨- علم الترسيس: الأستاذ عبد الحق فاضل ص٢٥.

وينظر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نفذ إليه ٢٩ أيار ٢٠١٤م.

٢٩- Caesar: مادة Hughs Dictionary of Islam.

٣٠- المصدر السابق نفسه وينظر قاموس المورد- البعلبكي- بيروت- لبنان.

٣١- فضل اللغة العربية على الحضارات القديمة- اللسان العربي- العدد ٣- ص٢٢٩.

٣٢- أسرار الضمائر مقالة للأستاذ عبد الحق فاضل.